لمحات

في نقد الفكر الحداثي

سماحة السيد صدر الدين القبانچي "دامت بركاته"

القسم الثاني

النجف الأشرف ربيع الأول ١٤٣٠هـ

إصدارات مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

P

كلمة لابد منها

دأب الفكر الحداثي على ابتكار أسئلة تشكيكية في مجمل الأحكام والشؤون الدينية ومحاولة إضفاء صبغة عقلية عليها علّها تُسهم بشكل مباشر أو غير مباشر بزحزحة بعض القيم والمفاهيم التي جاءت بها الرسالات السماوية، كي تكون هذه الأفكار الوضعية في مقابل النص الإلهي والتشريع الديني وجرّها نحو المنافع الشخصية(PRAGMATISM) وبالتالي إسقاطها بهذه الفلسفات والحركات الفكرية التي بنيت على الاجتهادات الشخصية والآراء التي لا تستند إلى دليل.

قد صدر بحمد اللّه تعالى وتوفيقه القسم الأول من سلسلة (لمحات في نقد الفكر الحداثي) لسماحة العلامة السيد صدر الدين القبانجي وهي شذرات مضيئة في خطب صلاة الجمعة يستعرض فيها بعض هذه الشبهات ومناقشتها بطرح فكري جميل وعرض علمي مبسط بغرض إيصالها إلى أكبر شريحة ومفهومة بالنسبة إلى عموم الناس، وها نحن نضع بين يدي القارئ الكريم القسم الثاني من هذه اللمحات، سائلين اللّه تعالى قبول الأعمال.

الناشر

النجف الأشرف ١٤٣٠هـ

اللمحة السابعة عشرة

تفسير الدعاء والإجابة

هنا بحث نتعرض له في سلسلة حديثنا عن نقد الفكر الحداثي تحت عنوان تفسير الدعاء والإجابة.

الإسلام كيف يفسر الإجابة؟ والفكر الحداثي كيف يفسرها؟ والإسلام يقول إن الإجابة هي عبارة عن الاستماع من اللّه تعالى أي وصول صوت الداعي، وان اللّه تعالى تقبَّل هذا النداء، وأوعز إلى ملائكته وجنده ان يحققوا المطلوب، هذا هو التفسير الإسلامي لإجابة الدعاء وبشكل واضح، فالإجابة هي فعل إلهي يترتب على أثر دعاء الإنسان المؤمن.

أما الحداثة والحداثيون فقد قدموا تفسيراً آخراً لاستجابة الدعاء، قالوا ان اللّه تعالى لا يتدخل في شأن الإنسان، فاللّه خلق الخلق واعتزل

كاللاعب الذي يعتزل الرياضة، ويقولون نحن نؤمن باللّه تعالى وأنه خلق السماء والأرض لكنه بعدئذ قدم استقالته وترك الخلق جانباً، ولا يتدخل في مطر أو جدب، ولا زرع وإنسان وحيوان ومرض وعافية، فاللّه موجود في السماء وجالس على العرش وتركنا للطبيعة تعمل عملها بنا إذن اللّه تعالى معزول.

وهنا نسأل: إذا كان اللّه معزولاً كيف تفسرون استجابة الدعاء، وهذا القرآن يقول ان اللّه سميع، ومجيب، وقريب، ثم هناك شواهد على الأرض تؤكد ان هناك أناساً مؤمنين يدعون اللّه فيستجيب لهم فماذا يقول الحداثيون؟

يقولون في تفسير استجابة الدعاء أنه عبارة عن تأثير هذا الدعاء في الحالة النفسية للإنسان، مثلا تسمعون ان الإنسان في مرضه وعافيته يخضع للتلقين النفسي، فلو قلت له إنك مريض وبشكل متكرر فسوف يصبح مريضاً! أي بتأثير الإيحاء بنسبة ما، أمَّا الطبيب البارع

فإنه يقول للمريض أنت معافى وستشفى، فينعكس ذلك على حالته النفسية ويستجيب لها، فتفسير الحداثيين للدعاء هو أنه عبارة عن إيجاد الحوافز النفسية للإنسان بحيث يستشعر العافية والرزق والفرج، إذن عندما يكون لديه هكذا شعور إذن يكون لديه أمل، وهكذا فإجابة الدعاء هي عبارة عن تأثير الدعاء في تحفيز أمل الإنسان وتقوية مشاعره ولهذا إن أراد ولداً يكون له ولد أو رزق أو عافية، وبرأيهم فإن اللّه لا يتدخل بها بل الدعاء طبيعياً ينتج عن نتائج إيجابية.

هذا التفسير الحداثي للدعاء والإجابة كما نعتقد هو أوهام لا برهان عليها ولا مقبولة بل هي تخالف البديهة الإسلامية بل تخالف الواقع على الأرض.

الإسلام يفهم الإجابة بشكلٍ آخرٍ وهي أن الإجابة عبارة عن عمل وتدخل مباشر من اللّه تبارك وتعالى وعلى خلاف السنن الطبيعية،

فأحياناً توظف السنن الطبيعية وأحياناً على خلافها، وهذه الأمثلة الأربعة التي ذكرها القرآن الكريم لصور استجابة الدعاء والنداء كلها كانت على خلاف السنن الطبيعية، فنوح(ع) دعا اللّه تعالى ان يخلصه من القوم الظالمين حيث قال(وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً)[1] فهل نقول ان الأمل النفسي عند نوح هو الذي جعل السماء تمطر وتغرق الأرض وهذه جميعها إيحاءات نفسية من قبل نوح، فهل يمكن لعالم من العلماء أن يقبل هذا التفسير!! وممكن ان تمطر السماء ليوم أو أكثر، لا ان يتحول دعاء نوح إلى تغيير كوني بحيث يعتبر ظاهرة طبيعية في عمر البشرية.

وهكذا عندما يكون الحديث عن يونس (ذا النون) - في بطن الحوت- هل لقّن نفسه على الطريقة الحداثية أنه سيخرج فقذفته الحوت إلى الساحل ثم أنبتت الطبيعة عليه شجرة من يقطين، هل هذا كله عبارة عن إيحاءات نفسية وليست تدخل لما وراء الطبيعة وتدخل

1 - الآية ٢٦ سورة نوح

مباشر من قبل الله تعالى، هل كان يونس مرتاضاً هندياً عمل هكذا أعمال وجعل الحوت تلقي به على الساحل، هذا علمياً لا يقبله أحد، نعم ربما يؤثر الدعاء على نفس الداعي لكن لا يؤثر على البحر والأمواج والطبيعة فهذه نظرية فاشلة علمياً إذا لم نقبل بالتفسير الديني، وبغير ان نعتقد ان هناك قدرة مطلقة تسمع الدعاء وتجيبه، وهكذا زكريا الذي عمّر(١٢٠سنة) وزوجته (٩٠سنة) ثم دعا الله تعالى قائلاً:(رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)[٢] فقال الله تبارك وتعالى (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ)[٣] وليس معنى الاستجابة أنه حقن زكريا وزوجه بفيتامين فأصبحوا أقوياء وصارت لديهم ولادة، وهذا التفسير ليس علمياً، وهكذا في قصة أيوب الذي مرض(٤٠ عاماً) حتى ألقوه في البادية فأنه لم يستعمل عقاقيراً للشفاء بل قيل له(ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ)[٤] فرفس الأرض برجله، وهذا ليس حمام العليل وليس

---

2 - الآية ٨٩ سورة الأنبياء
3 - الآية ٧٦ سورة الأنبياء
4 - الآية ٤٢ سورة ص

عيوناً كبريتية لكن الله تعالى استجاب له بحركة قدمه، وهذا لا يمكن تفسيره علمياً بأنه عبارة عن حوافر نفسية.

التفسير الإسلامي للاستجابة هي ان القدرة المطلقة التي هي الله تعالى هي التي تسمع النداء وتقبله وتجيبه(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)[5] هذه هي النظرية الإسلامية.

ثم نسأل الحداثة ما هو دليلكم على ان الله تعالى خلق الكون واعتزل؟ وكيف تعرفون ان الله اعتزل؟ والحداثة عندما تدعي هذا الادعاء يجب ان تعطي دليلاً، لكنهم لم يقدّموا إي برهان على هذا الادعاء ، نسأل الله تعالى العفو والمغفرة.

---

5 - الآية ١٨٦ سورة البقرة

اللمحة الثامنة عشرة

اللّه بين الفكر الحداثي والفكر الإسلامي

اليوم نتحدث في هذه الحلقة عن موضوع نضعه تحت عنوان(**اللّه بين الفكر الحداثي والفكر الإسلامي**).

رؤية الفكر الحداثي عن اللّه تبارك وتعالى هي انه لا اعتراض لديها في أن اللّه تعالى خالق لكنهم يعتقدون بما يلي:

- إن الكون يسير وفق قوانين طبيعية لا يتخلف عنها
- إن الإنسان يسير وفق قوانينٍ حياتيةٍ اجتماعية فردية لا يتخلف عنها
- إن اللّه خلق الكون والإنسان والحيوان والنبات ثم اعتزل ولا شغل له بعد ذلك بالكون وقوانينه كالمهندس الذي يصمم

منزلاً أو الشركة التي تصنع جهازاً ثم تتركها لأهلها ولا تتدخل بها بعدئذٍ

- إن اللّه تعالى خلق الكون واعتزل وهو في عرشه ولا ينزل إلى عالم الدنيا أو عالم الإنسان

أما الفكر الإسلامي القرآني فأنه ينظر إلى اللّه تبارك وتعالى باعتباره سميعاً، بصيراً، شاهداً، شهيداً، عليماً، ذكوراً، شكوراً، ستّار العيوب، غفّار الذنوب، مذلّ الكافرين، المشافي، المعافي، الرزاق، الحكيم، القريب إلى القلوب، جليس من ذكره، خير الذاكرين، خير الناظرين، خير الساترين، خير الساترين، خير الرازقين، أقرب من كل قريب(يا قريباً لا يبعد عن المغتر به، ويا جواداً لا يبخل عمن رجا ثوابه) وهذه هي الرؤية الإسلامية(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)[٦] واللّه تبارك وتعالى لم يعتزل هذا الكون ولم يعتزل الإنسان، بل هو معه أينما كان وهو القائل(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

---

6 - الآية ٨٢ سورة طه

عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)[7] فالله تعالى في الفكر الإسلامي غير معزول، وغير متقاعد، وغير مستقيل، وهو مع الإنسان، ويخالطه في محياه، ومماته، وعافيته، ومرضه، ويسمع دعاءه، ويجيب نداءه، ويشفيه من المرض، ويطعم جائعه، وهذا هو الله تعالى ولهذا نحن نصلي ونصوم له، ونناجيه(أناجيك يا موجوداً في كل مكان لعلك تسمع ندائي) وهذه علاقة محبة، وعشق، وصداقة وهو أقرب إلينا من آبائنا وأمهاتنا، بل أقرب لنا من أنفسنا ومن حبل الوريد، وليس المعزول والمتقاعد الذي ترك الإنسان كما يقول الفكر الحداثي، رغم إن هناك قوانين وسنن كونية، فالإسلام يعترف بالسنن الكونية(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[8] لكن الله تعالى لم يتخلَّ عن الإنسان.

---

7 - الآية ١٨٦ سورة البقرة

8 - الآية ٤٩ سورة القمر

ومن هذه القوانين أن الله تعالى هو ناصر العباد(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)[9] و(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)[10] ولهذا يقول القرآن الكريم عن نوح(ع) (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ)[11] فالله تعالى يقول أنا معك يا عبدي واصطنعتك لنفسي، ويشير الله تبارك وتعالى إلى ان حمل سفينة نوح على الماء ليس بمجرد القوانين الكونية، بل كان استجابة لدعاء نوح(ع) ربه(أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) فجاءت الإرادة الإلهية، وليست المسألة هي عبارة عن حلول فصل الشتاء وهطول الأمطار والسيول، بل هناك دعاء حرَّك الوجود بإرادة الله تعالى(وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً) وهي لم تكن سفينة شراعية، أو تعمل بالوقود بل(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا).

---

9 - الآية ٣٨ سورة الحج
10 - الآية ٦٠ سورة غافر
11 - الآيات ١٠- ١٤ القمر

هذا هو اللّه تعالى في الفكر الإسلامي، وتلك هي رؤية الحداثة إلى اللّه رؤية جامدة، والرؤية الإسلامية هي رؤية حيّة يتفاعل معها قلب المؤمن.

<u>ماهو الدليل</u>:- الحداثة يجب ان تقدم دليلاً بأن اللّه تعالى قد خلق الكون ثم اعتزل، والإسلام يقدم دليلاً أيضاً وهو الأنبياء الذين بعثهم اللّه تعالى لهداية البشر، فإذا كان اللّه تعالى بحسب الرؤية الحداثية قد اعتزل فلماذا يبعث أنبياءً ورسلاً وأنزل رسالات، فإذا كان اللّه تعالى قد اعتزل فكيف نفلسف الدعاء وغيره، أي يجب إلغاء الدين على ضوء شبهات الفكر الحداثي والنظر إلى اللّه تعالى باعتباره حقيقة جامدة، وهذه مجموعة أفكار نذكرها باختصار وهناك مجالس أوسع في نقد الفكر الحداثي في دروس قدمناها ونقدمها للطلبة الجامعيين وطلبة الحوزة العلمية.

اللمحة التاسعة عشرة

وحدة الحق أم تعدده؟

في سلسلة أحاديثنا في نقد الفكر الحداثي لدينا موضوع نضعه تحت عنوان(وحدة الحق أم تعدد الحق؟) فالأديان تقول نحن على حق وغيرنا على باطل، والإسلام يقول أنا على حق وغيري على باطل، فهل ان الحق متعدد، وكل المذاهب حق من يهودية، ونصرانية، وإسلام، وكفر، وعبادة أصنام، وعبادة بقر، وعبادة بوذا؟

ماذا تقول الحداثة وماذا يقول الإسلام؟

الحداثة تقول بتعددية الحق وان هؤلاء كلهم على حق حتى ذاك الذي يعبد البقر لأنه قد وصل إدراكه لهذا المستوى، إذن هو على حق لأن الحق قضية نسبية مرتبطة بالإنسان.

لكن الدين يقول ان الحق واحد وهو الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ)[12] وما عداه فهو باطل ومن غير الممكن ان نجعل الله تعالى حقاً، وفي مقابله نقول إن الشرك حق، وعبادة الأصنام حق، والإلحاد حق فهي لا تجتمع في مستوى واحدٍ.

شبهة العدالة:-

شبهة الفكر الحداثي بإيجاز هي إذا كان الحق واحد وكان الباقون كلهم على باطل إذن كيف تسمح العدالة الإلهية بأن أكثر الخلق يقعون في نار جهنم من الأديان الأخرى أو الملحدين، أو عبّاد الأصنام، أو عبّاد البقر؟ فهل تسمح العدالة الإلهية بأن يدخل أكثرية البشر في نار جهنم؟ وإذا كانت العدالة الإلهية لا تقبل ذلك إذن لابد ان نقول ان كل هؤلاء على حق، أو هم معفوٌّ عنهم، ولا مشكلة في ذلك، إذن

---

12 - الآية ٤ سورة الحج

ليس الحق واحد وليس الإسلام فقط على حق بل كل هؤلاء على حق كي نتخلص من هذه المشكلة في العدالة الإلهية.

جواب هذه الشبهة يتلخص في ما يلي:

أولاً: لننظر ما يقوله القرآن الكريم في أن الذين آمنوا هم أهل الفلاح والنجاح وأهل الجنة، والذين كفروا في جهنم(وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى)[13] الفكرة أن مئات الآيات القرآنية تتحدث عن نجاة المؤمنين، وضلال وشقاء الكافرين وهذا نظر القرآن الكريم، حينئذٍ يجب ان نطرح السؤال على القرآن الكريم ونقول: إذا دخل الكافرون نار جهنم كيف ينسجم ذلك مع العدالة الإلهية؟

13 - الآيات ٦-٩ سورة الملك

الجواب كما يقول الفقهاء وعلماء الإسلام وفي ضوء القرآن الكريم ان جهنم للذين كفروا عن جحود وتكذيب، والقرآن الكريم يقول في مواضع عدّة ان جهنم ليست لمجرد الكافر فقط بل للكافر المعاند الجاحد الطاغي(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً لِلْطَّاغِينَ مَآباً)[14] حالة الطغيان والتمرد، وهناك كفر عن جهل وعدم معرفة وهو معذور، في مقابل التكذيب والجحود العمدي وهو ما يحاسب عليه الإنسان(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)[15] (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ)[16] وهذا الأمر يصطلح عليه علماء الإسلام بـ(الفرق بين الجاهل القاصر والجاهل المقصّر) فالجاهل القاصر الذي ليست لديه معلومة كي يكفر بها حيث لم يصله صوت الحق، فهو كافر لا يعرف الحقيقة، فكفره عن جهل وقصور وليس تقصير، وهنا كل علماء الإسلام يقولون إن هذا الإنسان لا يعذَّب، لأن العدالة الإلهية لا

---

14 - الآيات ٢١-٢٢ سورة النبأ
15 - الآية ١٥ سورة المرسلات
16 - الآية ١٤ سورة النمل

تسمح بتعذيب هذا الإنسان إنما العذاب الإلهي للإنسان الجاحد المعاند(أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ)[17] فهذا كفر عن تجبر، ولهذا فإن سورة الفاتحة تلخّص الفكرة وتقول(اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)[18] والضالون هم غير مغضوب عليهم، فهو ضال بسبب ضياع الحقيقة عنده، ومن التفسير القرآني نفهم أن هذا القسم من الناس وهم الجهلة عن قصور لم تصلهم المعلومة ولا يحاسبهم اللّه تعالى(وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)[19] فهم تائهون، إذن لا توجد لدينا مشكلة ونقول للفكر الحداثي ان العدالة الإلهية لا تسمح بأن يعذب كل الجهلة ولكن ذلك لا يعني أنهم على حق، وان من يعبد البقر، ويعبد النار، ويعبد بوذا، على حق، ان هذا يختلف عن المؤمن الذي أكتشف الحقيقة فهو يستحق مقامات الجنة التي لا يستحقها غير المؤمن، ولهذا نحن لا نوافق على ان توجه الحداثة شبهات لإحراج الفكر

---

17 - الآية ٢٤ سورة ق
18 - الآيات ٦-٧ سورة الفاتحة
19 - الآية ١٥ سورة المائدة

الديني كما هي قصة فرعون مع موسى(قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى)[20] الذين ماتوا على الكفر ما تقول فيهم؟ فهذه عملية إحراج لموسى، فإذا قال كلهم يدخلون جهنم فهي مشكلة ويتأذى الإنسان حينما يعلم بأن أمه وأباه سيدخلون جهنم، فأجابه موسى(قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى)[21]

تقول الروايات ان رحمة اللّه تعالى يوم القيامة تنتشر حتى ان إبليس يطمع في رحمته، ونحن لا نستطيع القول بأن جميع البشرية في جهنم، لكن أيضاً لا نسمح بأن يقال إنهم جميعاً على حق، فالحق شيء والرحمة الإلهية شيء آخر، نعم رحمة اللّه تعالى قد تشمل المذنب والعاصي كما قلنا، إذن في النظرية الدينية ان الحق واحد.

---

20 - الآيات ٤٩-٥٠ سورة طه
21 - الآية ٥١ سورة طه

ثانياً: البحث عن الحقيقة واجب(فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً)[22] أيها الناس لقد منَّ اللّه عليكم بعقل ليس كمثل باقي الحيوانات، فابحثوا عن الحقيقة، فهو واجب وهذا افتخار من افتخارات الدين، فقيمة الإنسان بعقله وبحثه عن الحقيقة.

ثالثاً: من وصل إلى الحقيقة وآمن(فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً) و(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً)[23] وأما من بحث عن الحقيقة ولم يصل(قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى)[24] وأما من بحث عن الحقيقة وتمرد عليها ذلك الذي يقول فيه القرآن الكريم(أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ)[25] هذا يسميه الفقهاء وعلماء الإسلام الجحود وهو الكفر مع المعرفة والعناد.

---

22 - الآية ١٤ سورة الجن
23 - الآية ٣١ سورة النبأ
24 - الآية ٥٢ سورة طه
25 - الآية ٢٤ سورة ق

اللمحة العشرون

الاجتهاد في الأصول والفروع

نقف في محور جديد لمناقشة الفكر الحداثي وهو (الاجتهاد في الأصول والفروع)

يقول الحداثيون كما يجوز الاجتهاد في معرفة فروع الدين ومعرفة أحكام الصلاة والصوم كذلك أسمحوا لنا أن نكون مجتهدين في معرفة أصول الدين في الله والمعاد والنبوة والوحي والجنة والنار والملائكة والشفاعة والعرش والكرسي، اسمحوا ان نجتهد في هذه المفاهيم ونناقش وننقد وننظر كما نظر السابقون، الاجتهاد في الفروع(الأحكام الفقهية) والاجتهاد في الأصول.

هؤلاء الحداثيون في الحقيقة واجهوا مدرسة قائمة على الأرض واتجاه فكري موجود في العالم الإسلامي وهذا الاتجاه لا يسمح بالاجتهاد

الفقهي ولا بالاجتهاد العقائدي حيث قالوا بأن باب الاجتهاد قد أغلق على أئمة المذاهب الأربعة في القرن الثاني والثالث وهم أبو حنيفة ومالك وأحمد والشافعي ولا يحق لأحد ان يكون مجتهداً بعدهم وهكذا معرفة أصول الدين والعقيدة، هذه قد أغلقت ولا نقبل إلا بما جاءنا عن أبو الحسن الأشعري أو المعتزلة أو الماتريدي في القرن الثالث والرابع الهجري كل ما قاله هؤلاء نحن نقوله ولا نسمح لأنفسنا ان نقول أكثر من ذلك أو نجتهد، والآن مدرسة الفكر الأشعري وهم أخواننا أبناء السنة قد أغلقوا باب الاجتهاد في معرفة أحكام الدين وأصوله وقد ثار ضدهم مجموعة من الحداثيين والكتّاب والمفكرين والباحثين قالوا لماذا لا يُسمح لنا ان نجتهد كما اجتهدوا؟ بل نقرأ القرآن ومثلما أجتهد أولئك نجتهد نحن؟ ونفهم القرآن مثلما فهم أولئك الآيات القرآنية سواء في فروع الدين أو في الأصول فقد نفهمها نحن كذلك وقد تكون نتيجة أخرى غير

ما فهمه أبو الحسن الأشعري ونحن غير مجبورين أن نفهم ما فهمه أبو الحسن الأشعري، وأبو حامد الغزالي.

هذه هي فكرة الحداثة، وهي الدعوة لممارسة الاجتهاد في الفروع والأصول.

نقف في حديثنا عند هذه الفكرة

أهل البيت(ع) وشيعتهم يعتقدون بأن الاجتهاد في الفروع والأصول صحيح ونحن لم نغلق باب الاجتهاد بل قلنا كما كان يجوز الاجتهاد لأصحاب رسول اللّه(ص) وأصحاب الأئمة(ع) والشيخ المفيد من قبل ألف عام كذلك الآن يجوز الاجتهاد للمجتهد وحسب قواعد الاستنباط ولا فرق وقد يكون هذا الفقيه المتأخر أعلم من ذلك المتقدم، هذا هو رأي مدرسة أهل البيت(ع) أسميناها فتح باب الاجتهاد، وفي الأصول أيضاً كذلك أي ان الباحثين والعلماء من حقهم الآن ان يقرأوا القرآن ويتمعنوا في معانيه ويدرسوا القضايا العقيدية مثلما درست

قبل ألف عام، يدرسها علماؤها الآن أيضاً وقد يخرجون منها بنتائج أخرى لا مانع في ذلك وهذا يعني فتح باب الاجتهاد في معرفة العقيدة، ولهذا ترون علماء الشيعة بالخصوص يتميزون بأن لديهم عطاء علمي جديد مستمر في الفروع والأصول لم يتوقف.

والاجتهاد باب مفتوح إلا أنه يجب ان يخضع لقواعد الاجتهاد والاستنباط كأي علم من العلوم، فيقول قائل من حقي أن أكون طبيباً أو مهندساً فهذه العلوم لم يخصّها اللّه تعالى بفئة من الناس، لكن أليس الطب يخضع لقواعد ودراسة وأصول ومنهج، ونحن في الفقه والعقيدة أيضاً نقول إن باب الاجتهاد مفتوح لكن يجب ان يخضع لأصول الاستنباط، كيف نفهم الآية والرواية فهل كل من يقرأ قوله تعالى(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[٢٦] يقول إذن لن أصلي!! وأنا مجتهد في فهم الآية؟ أم ان الاجتهاد هو عبارة عن عملية بذل الجهد العلمي ووفق الآليات العلمية لاستنباط الفكرة والفتوى، نعم باب

26 - الآية ٢٥٦ سورة البقرة

الاجتهاد مفتوح إلا أنه وفق الأصول العلمية، ومشكلة الحداثيين اليوم أنهم عاشوا ردّة فعل وقالوا إن أولئك أغلقوا باب الاجتهاد إذن لنجتهد نحن! بطريقة ان القرآن الكريم يقول (وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِالصَّلَاةِ)[٢٧] فيقولون إن صيغة الأمر في هذه الآية لا دلالة فيها على الوجوب، إذن الصلاة مستحبة وليست واجبة، ولكن هل ذلك هو مدلول اللغة العربية وما يفهمه العرب من القرآن الكريم، أو ان كل واحد يعطي مدلولاً آخراً غير ما تقوله اللغة، ولهذا جاء أئمتنا وأكدوا وقالوا (إن أول من قاس إبليس) ونهوا عن اعتماد الرأي، و(من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)

يقول الحداثيون نحن نفهم قصة إبليس حين لم يسجد لآدم وقال اللّه تعالى له (قَالَ اخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡؤُوماً مَّدۡحُوراً)[٢٨]، قالوا: نحن نفهم هذه القصص مثلما نفهم حكايات الطيور والعصافير والحيوانات في قصة (كليلة ودمنة) وهذه حكايات يحكيها اللّه تعالى لنا ليس كقضية

27 - الآية ١٣٢ سورة طه
28 - الآية ١٨ سورة الأعراف

حقيقية وإنما حكاية مثلما يحكى لطفل الغرض منها تربيته وهي غير واقعية، وهي أشبه بقصة ألف ليلة وليلة(وأدرك شهرزاد الصباح فأمسكت عن الكلام المباح) وموضوعها ان جارية كانت تنسج هذه القصص إلى الملك كي لا يقتلها فتأخرت عن القتل ألف ليلة وليلة والحداثيون يفهمون القرآن بهذا الشكل.

هنا نحتاج إلى كلام وهو إن هذا الفهم هل يستند إلى دليل علمي يقيني، لأن القرآن الكريم يقول(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)[٢٩] فهل هذا الفهم هو مراد الله تعالى من سرده لتلك القصص؟

نحن علينا ان نكون أصحاب اليقين فإذا كانت الآيات القرآنية وآلاف النصوص من السنة الشريفة تؤكد حقيقة معينة بنحوٍ يقيني؟ مثل وجود الملائكة وإبليس والجنة وغيرها فكيف يجوز لنا تكذيب ذلك؟

---

29 - الآية ٣٦ سورة الإسراء

إذن نحن في العقائد يحق لنا الاجتهاد لكن على أساس اليقين العلمي وليس على أساس الظنون وما تورط به الحداثيون هو ظنون لا تغني من الحق شيئاً، ونحن بتمام رحابة الصدر نقول للأساتذة والطلاب ليقرأوا القرآن يتمعنوا فيه ويفهمون دلالة الآيات في كل القرآن الكريم، لكن يجب ان تُفهم الآيات فهماً مستدلاً علمياً يقينياً، وليس مجرد احتمالات لا يستطيع به الاحتجاج أمام الله تبارك وتعالى.

اللمحة الحادية والعشرون

المعجزة في الفكر الحداثي

في سلسلة نقد الفكر الحداثي نذكر عنواناً آخرا وهو موضوع (المعجزة) حيث يقول الفكر الحداثي أنه لا يمكن البرهان العلمي على ما يسمى في الفكر الديني بالمعجزة لدى الأنبياء ولا نستطيع ان نبرهن عليها مادياً وبالتالي لابد من نفيها أو العثور على تفسير مادي لها.

مثال ذلك موسى(ع) عندما عبر البحر وغرق فرعون فإنها لم تكن معجزة بالشكل الذي يشرحه القرآن(أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)[30] وإنما كلُّ القضية ان موسى كان يعرف قوانين المد والجزر وكان فرعون لا يعرفها فتقدم موسى في وقت الجزر وتقدم فرعون في وقت المد فغرق، لكن كيف يوفّق هذا التفسير مع النص القرآني الذي يقول عندما أنفلق

30 - الآية ٦٣ من سورة الشعراء

البحر (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) وكان الماء موجوداً وليست مسألة جزر، وهكذا عيسى(ع) حين كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله فإن الحداثة تقول إن عيسى كان يمارس علاجات نفسية، فبعض العميان في زماننا هذا بعد سنوات يعود لهم البصر من خلال صعقة نفسية لأنه كان مبتلى بحالات نفسية خاصة فهذه الهزّة تعيد لهم البصر وعيسى كان خبيراً بالعلاج النفسي وهؤلاء الموتى ليسوا موتى بل كان لديهم "جلطة قلبية" وأعادهم عيسى للحياة وهكذا يقول الفكر الحداثي لا توجد قوانيين فوق الطبيعة!

<u>مناقشة الفكر الحداثي</u>:-

وما نسجله هنا ان التفكير الحداثي يعتمد على خطأ في المنهج ومشكلة هؤلاء الحداثيين في تفكيرهم أنهم يقعون في الخطأ مثل إنسان لا يسير على الجادة المستقيمة فهو دائما لا يصل إلى نتيجة، وأصل المشكلة ليس أنه لا يستطيع السير ولكن الجادة التي وضع عليها قدمه جادة غير صحيحة فهؤلاء لديهم خطأ في المنهج:

<u>الخطأ الأول</u>: يفترضون ان التفسير المادي هو التفسير الوحيد للحوادث الكونية، ولا يمكن ان نعطي تفسيراً غير مادي ولا يمكن

ان نقبل عوامل مؤثرة في الدنيا هي وراء قوانين الطبيعة، خطأ الفكر الحداثي أنه يحصر التفسير للحوادث الكونية بالتفسير المادي دون ان يقدم دليلاً على هذا الحصر، ودون ان يبرهن على عدم إمكانية تدخل الإرادة الإلهية المباشرة من خارج القوانين التي سنّها الله تعالى.

الخطأ الثاني: أفتراض أن الإنسان وحده يمتلك الحقيقة فكل شيء لا يستطيع الإنسان ان يبرهن عليه ويفهمه بشكل دقيق إذن لا حقيقة له، والإنسان إذا لم يفهم معنى العرش والمعاد والصراط والجنة والنار ولم يستطع البرهنة عليها مادياً إذن هذه ليست حقائق لأن العقل والإنسان غير قادر على فهمها والبرهنة عليها مادياً فهو وحده من يمتلك الحقيقة وهذا خطأ فمن قال وما هو الدليل على إن الإنسان وحده من يمتلك معرفة الحقائق الكونية الكبرى؟ فمن هو الإنسان حتى يكون مصدر الحقيقة؟

إثبات المعجزة بالمناهج العلمية:-

نحن نعتقد ان هذه الشبهة خاطئة فالمناهج العلمية التي نستخدمها لإثبات أية معلومة طبيعية قادرة بنفسها على ان تثبت التدخل الإلهي في المعجزة، فالمنهج العلمي لإثبات حقيقة من الحقائق مثل الجاذبية لدى العالم الطبيعي أو ارتفاع ضغط الدم لدى الطبيب إنما يتم من خلال

الدلائل والمؤشرات والأعراض التي يعتمد عليها العالم الفلكي والفيزياوي والكيمياوي والطبيب، فأنهم يجدون كل شيء يسقط على الأرض ولا يرتفع للسماء إذن هناك قوة جاذبة في الأرض وهذه تثبت من خلال جمع شواهد واعتماد المنهج العلمي، الذي هو اعتماد الأعراض والعلامات، ونفس هذا المنهج نعتمده في أثبات التدخل الإلهي في معجزة الأنبياء وفي أثبات وجود الله واثبات الوحي وفي سائر مسلماتنا الغيبية فهي ليست خرافة أو اعتماداً على غير المنهج العلمي، والأنبياء حينما قدموا معجزة لقومهم ودليلاً على ان الله تبارك وتعالى هو الذي أرسلهم يتأكد للمشاهد بالمؤشرات والقرائن ان هذه قضية ما وراء طبيعية وليست قدرة عيسى ولا موسى ولا نبينا محمد(صلوات الله تعالى عليهم أجمعين).

<u>تجربة موسى نموذجاً</u>

القصة القرآنية تقول(قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ، قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ، فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ، وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ، قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى

وَهَارُونَ)[٣١] هذه حادثة تاريخية ومتفق عليها ولا مناقشة في صحتها كما يذكرها القرآن الكريم وهذه مجموعة شواهد وقرائن تدلل على ان القضية ما وراء طبيعية وليست القضية هي خبرة موسى أو ذكائه أو دهائه، وأي من الموجودين كان يذعن على ان هذه القضية هي ما وراء طبيعية، فموسى لم يكن له معرفة بالسحر ولا كان خبيراً به، وأصل المبادرة كانت من اختيار فرعون وكان الطرف الآخر هم مجموعة خبراء متخصصين بالسحر من الدرجة الأولى وكلهم أذعنوا وخرّوا سجداً واعتبروا ان العملية ما فوق طبيعية، وأنهم حينما أذعنوا لم يعتقدوا مجرّد اعتقاد وإنما استعدوا للتضحية والقتل والفداء، وكان يمكن ان يؤمنوا بقلوبهم لكن لا يعرضوا أنفسهم للقتل وقد هددهم فرعون(لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)[٣٢] وهذا المشهد كان مخيفاً حتى لموسى فلو كان يعرف بالسحر والدهاء لا يتوجس من ذلك الأمر(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى)[٣٣] فالمشهد مثير للقلق سواء خوفاً على الناس أو هلعاً من هول المشهد، ومعنى ذلك ان القضية كانت لموسى مفاجأةً ولم يكن هناك أي استعداد مسبق، وشخصية موسى تاريخيا شخصية صادقة لم يعرف

---

31 - الآيات ١١٥-١٢٢ سورة الأعراف
32 - الآية ٧١ من سورة طه
33 - الآية ٦٧ سورة طه

عنه يوماً ما كذباً أو تجارة سياسية أو ما شاكل ذلك، وهنا كان موسى مستعداً للتضحية ففرعون جيّش الجيوش وموسى ليس لديه نصير إلا اللّه تبارك وتعالى(قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ)[٣٤] فهو يعلم ان من أمامه البحر ومن وراءه فرعون، وأيضاً ليست هناك مكاسب وراء هذا المشروع فموسى كان في بيت فرعون ويستطيع ان يكون الوزير الأول، ونجد من أخرى ان اللّه تعالى قال لموسى(خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ)[٣٥] إذن موسى لديه قلق إذن فهو ليس قرار موسى ولا مشروعه ولا صنعه، ومجموعة هذه المشاهد والمؤشرات تدلل على ان ما حدث هو ما فوق طبيعي وأنه غير مربوط بشخصية النبي(ع).

إذن المعجزة يمكن ان نفسرها من خلال المنهج العلمي نفسه الذي نثبت به أية ظاهرة طبيعية أخرى.

---

34 - الآية ٦٢ سورة الشعراء
35 - الآية ٢١ سورة طه

الشبهة لا تقف عند حدود المعجزة:-

ومن ناحية أخرى ان هذه الشبهة الحداثية عن المعجزة شبهة سيّالة أي إننا إذا قبلنا بها وقلنا أنه طالما لا يمكن تفسير المعجزة تفسيراً مادياً سوف نرفضها إذن لا يمكن تفسير الوحي تفسيراً مادياً، لا يمكن تفسير الله تفسيراً مادياً ولا الجنة والنار، إذن يجب ان نضع علامة استفهام على كل مقولاتنا الدينية، فإما ان نكون ملحدين وإما ان نكون مؤمنين، فإذا كان أحد مؤمناً لكنه لا يؤمن بالمعجزة إذن نفس الأمر يقع على الله تعالى فهو تعالى غير خاضع للتفسيرات المادية، ولذا يجب ان تناقش هذه الشبهة مناقشة أساسية وان يختار الإنسان أحد طريقين أما الإيمان بالغيب وما وراء الطبيعة من خلال المنهج العلمي، وإما ان يتحول إلى إنسان مادي لا يقبل إلا بما هو مشهود بالعين وهذا ما لا يرتضيه العلم، والعلماء في كل العالم يثبتون حقائق علمية ليس على أساس المشاهدة وإنما على أساس المؤشرات والدلائل التي يمكن اعتمادها.

اللمحة الثانية والعشرون

خاتمية النبوة أم خاتمية الرسالة؟

نواجه شبهة حداثية أخرى مرتبطة بنبينا(ص) تقول ان الصحيح هو خاتمية النبوة وليس خاتمية الرسالة! أي إن رسول اللّه(ص) قال: لا نبي بعدي. لكن التشريع مستمر بعد رسول اللّه(ص) وإن هناك وحيان وحي ملائكي وهو جبرائيل، ووحي عقلي وهو عقول الناس وهذه الرسالة مستمرة حتى بعد النبي(ص) من خلال عقول الناس أي ان النبوة انتهت ولكن الرسالة لم تنتهِ لأن القرآن الكريم يقول (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[٣٦] ولم يقل وخاتم المرسلين! إذن اليوم من حقنا ان نشرّع ولا يكفينا القرآن والسنّة بل هناك عقل وهو الذي يشرّع أيضاً!

---

[36] - (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) الآية ٤٠ سورة الأحزاب

والحقيقة ان هذه مغالطة لفظية وهكذا حينما تقول الحداثة بخاتمية النبوّة وعدم خاتمية الرسالة.

واسمحوا لي بهذا الصدد أن أنقل لكم طرفة تقول إن امرأة يوما ما أدعت النبوة فقيل لها ان الحديث يقول(لا نبي بعدي) فقالت: نعم ولكن أنا نبيةٌ ولست نبياً!!؟ وطريفة أخرى تُنقل أن شخصاً أسمه (لا) أدعى النبوة فقيل له: ان النبي يقول لا نبي بعدي فقال: نعم أنه يقصدني فأسمي لا.!! والحقيقة ان هذا ضحك على الذقون ومغالطات لفظية، فخاتم النبيين هو خاتم المرسلين أيضاً لأن الرسول لا يكون رسولاً إلا إذا عبر مرحلة النبوة وحمل رسالته إلى الناس، فإذا لم يكن نبياً لا يمكن ان يكون رسولاً فالقرآن نفى النبوة بعد رسول الله(ص) حين قال (وخاتم النبيين) وبتبع ذلك يكون قد نفى الرسالة أيضاً بعد رسول الله(ص) لأنه لا رسالة بدون نبوة فكما لا نبي بعد رسول الله(ص) كذلك لا رسول بعده.

العودة إلى العقل:-

وأما مسألة العودة إلى العقل فهي صحيحة ولكن التشريع العقلي لا يمثل تشريعاً إلهياً، لأن القرآن الكريم يقول(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فلا مجال للقول بأن أي تشريع من غير مصدر الكتاب

والسنّة هو تشريع إلهي بل(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)[37].

التشريعات المدنية مقبولة وصحيح ان لدينا تشريعات عمرانية، وزراعية، ومجالس البرلمان تشرع وهذا ليس حراماً، لكن لا يسمى رسالة إلهية، بل يختلف فيه الشعب فيوما هكذا يشرّع، وبعد سنة يشرّع بشكل أخر، وهذا مسموح به طالما كان في إطار الرسالة الإلهية والمنطقة الحركية التي يسمح للإنسان ان يتحرك بها، فالرسالة قد انتهت بنبينا(ص).

---

37 - الآية ٣ سورة المائدة

اللمحة الثالثة والعشرون

العقوبات الإسلامية وحقوق الإنسان

الحديث عن العقوبات الإسلامية وحقوق الإنسان بين الفكر الحداثي والفكر الإسلامي.

يقول الحداثيون ان هناك مفاهيم جديدة دخلت العصر هي مفاهيم حقوق الإنسان وهذه المفاهيم لم تعد تتقبل التشريعات الإسلامية، مثلاً التشريع الجنائية الإسلامي مبني على القصاص ولكن حقوق الإنسان لا تنسجم مع القصاص(أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ)[٣٨]،(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا)[٣٩] وهذا لا يتقبله الفكر العقلي المعاصر ويجب ان نخضع الدين لهذا الفكر المعاصر ونرفع اليد عن آيات القصاص والحدود والتعزيرات في الإسلام، فهي أحكام يجب ان تعتبر مرتبطة بعصرها وزمانها.

هذه رؤية حداثية عن حقوق الإنسان وما تستحقه من الموقف تجاه التشريعات الجنائية في الإسلام.

---

38 - الآية ٤٥ سورة المائدة

39 - الآية ٣٨ سورة المائدة

حقوق الإنسان في الإسلام

الفكر الإسلامي يقول في هذا الشأن ان أول من دافع عن حقوق الإسلام وأصَّل لها هم الأنبياء، والإسلام جاء راعياً ورائداً لحقوق الإنسان، وأول قضية تاريخية في البشرية هي قضية حقوقية لاحظوا كيف تعامل معها الدين بشكل عام والإسلام بشكل خاص حينما قتل هابيل قابيل هذه قضية جنائية تحتاج إلى موقف حقوقي، هنا الإسلام يقول(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)[٤٠] هذا هو مدى اهتمام الإسلام بحقوق الإنسان، هذا هو الهدف من التشريعات الجنائية الشديدة في الإسلام.

بل الدين يقول ان حق الإنسان أعظم من حق الله تعالى، فحق الله تعالى قد يغفر لكن حق الناس لا يغفر.

رسول الله(ص) سيد البشر والأنبياء والمرسلين، في آخر أيام حياته قام خطيباً وقال: من كان له علي حق فليقم حتى يقتص مني، فقام سواده وقال: يا رسول الله أنا لي عليك حق. قال(ص): ماهو الحق؟

---

40 - الآية ٣٢ سورة المائدة

قال: يوماً ما كنا نسير معك وأنت بسوطك أردت ان تضرب الناقة فوقع سوطك على بطني وأريد الاقتصاص منك.

قال: آتوني بسوط. فجاؤوا بسوط.

فقال(ص): يا سواده هاك السوط فأقتص مني.

فقال: يا رسول الله يوم ضربتني بالسوط كنت عارياً فوقع سوطك على بطني فأكشف لي بطنك، فرفع رسول الله(ص) رداءه، فوقع سواده على بطنه يقبّلها.

قال(ص): هل عفوت؟

قال: نعم.

وهناك نماذج كثيرة لا تُعد ولا تحصى تؤكد ان الإسلام هو راعي حقوق الإنسان(لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ)[41].

يقول الإمام علي(ع):(من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده).

---

41 - الآية ٢٤٩ سورة البقرة

وعلى هذا الأساس ونحن في الحديث المقارن بين الإسلام والفكر الحداثي وفي ذكرى يوم حقوق الإنسان نؤكد ان الهدف في الأديان الإلهية هو تحقيق حقوق الإنسان في لدنيا قبل الآخرة.

توفير أجواء الحماية:-

والإسلام أيضاً يقول لابد من توفير الحماية لحقوق الإنسان، ومشكلة الحداثة اليوم والفرق بينها وبين الإسلام هو إن الإسلام يؤكد على توفير أجواء حاضنة لحقوق الإنسان وتحميها، وحينما يقرر التشريع الإسلامي القصاص والتعزيرات وما شاكل ذلك إنما هو لأجل حماية حقوق الإنسان (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ)[٤٢] أي ان الهدف هو حفظ حياتكم وحقوقكم، والقصاص لأجل حقوق الإنسان، وفي زماننا هذا هناك أناس عندما تحكم على قاتل بالقتل، يقال هذا خلاف حقوق الإنسان، فهناك عدد من الولايات الأمريكية غير مسموح فيها بحكم الإعدام، باعتبارها عقوبة قاسية، وكذلك في عدد من الدول الأوربية، لكن الإسلام يقول(مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ

42 - الآية ١٧٩ سورة البقرة

نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)[٤٣] وجزاءه القتل، ليس انتقاماً وثأراً وإنما حماية لحقوق الإنسان، وإلّا فإن شخصاً واحداً يقتل آلافاً من الناس ثم يقال لا يصح أن يُعدم! مثل رؤوس ورموز النظام السابق في العراق الذين قُتل على أيديهم مئات الآلاف يوم تحكمهم المحكمة الجنائية بالإعدام فإن بعض الأصوات بعنوان الدفاع عن حقوق الإنسان قالوا لا يجوز ان يُحكموا بالإعدام إذن أين حقوق الإنسان؟ والمظلومون من أصحاب المقابر الجماعية والآلاف الذين قُتلوا وهم في ريعان شبابهم؟ وهذه هي المعادلة غير المتوازنة في الفكر الحداثي فلا يأخذون حقوق الإنسان من الجانبين، وإنما يأخذونها من جانب الظالم على المظلوم، ونحن لا نعتقد ان حقوق الإنسان هي مفاهيم جديدة بل أصلّها الإسلام والأنبياء ومشكلة الحداثة هي الغرور، وهنا يقول الإسلام يقول (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ)[٤٤] فأنت لك حقوق وكرامة وأنت خليفة الله في الأرض، لكن هذا الإنسان يطغى، ومشكلة الفكر الحداثي هي الطغيان، واليوم بدأنا نشهد العودة إلى الله تعالى وببركة جهود المسلمين وبركة هذه الأمة العالم الغربي اليوم بدأ يعود إلى الله وهذا ليس

---

43 - الآية ٣٢سورة المائدة

44 - الآيات ٦-٨ سورة الانفطار

إدعاءً بل هو على أرض الواقع وفي نهايات القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين بدأت أوربا وبدأ الغرب بالعودة إلى الله تعالى بفضل جهود المسلمين وإصرارهم على الدين والقيم الدينية، وبهذا الصدد هناك تصريح لكبير الأساقفة في الفاتيكان (الكاردينال جان لويس توران) وهو رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان في إيطاليا كان له هذا التصريح فاجتمع بعدد من المسلمين فقال: ان الحديث عن الدين والكتاب أصبح الآن أكثر من أي وقت مضى في أوربا، وأضاف: الفضل في ذلك يعود للمسلمين، ثم قال: المسلمون هم الذين طالبوا بوجود مساحة للدين في المجتمع بعد ان أصبحوا أقلية مهمة في أوربا، وتشاهد بوضوح العودة إلى الله في فرنسا بالخصوص حيث جلبت أكبر أقلية مسلمة في أوربا قضايا دينية مثل حجاب المرأة إلى حلبة النقاش السياسي بعد ان كانت تعتبر هذه القضايا لعقود قضايا خاصة والآن أصبحت تتحرك على أرض الواقع، وبحمد الله نشهد اليوم تقدماً نحو الله والفكر الديني ببركة أمة نبينا(ص).

اللمحة الرابعة والعشرون

التشريعات الإسلامية والتجربة البشرية

يطرح الحداثيون شبهة أخرى هي ضرورة إخضاع المعتقدات والتشريعات الإسلامية للتجربة البشرية فما نفع منها نقبله وما لم ينفع منها لا نقبله، أي ان الصلاة والصوم والحج والزكاة كأعمال، والاعتقاد بالله والوحي والجنة والنار والأنبياء والصراط والشفاعة كمعتقدات، هذه يجب ان تخضع للتجربة البشرية وما هو مفيد منها في محك التجربة نأخذه وما هو غير مفيد نرفضه.

دليل الحداثة

دليلهم على ذلك ان الإسلام جاء من أجل الإنسان والأحكام الشرعية لابد ان تكون لمصلحة الإنسان فإذا ثبت في هذا الحكم مصلحة نعمل به وإذا تغير الزمان والمكان وأصبح التشريع أو المعتقد لا مصلحة فيه إذن لا نعمل به، ربما كانت الصلاة يوما ما مفيدة وربما تكون يوماً ما غير مفيدة وتستبدل مثلاً بسماع الموسيقى الحزينة،

وهكذا الحج يوماً ما ربما كان مفيداً وربما يوماً ما يكون غير مفيد، فيذهبون إلى بيت المقدس مثلاً، وأيضا الصوم هو مفيد لكن إذا صار الحر شديداً فيؤجل إلى أشهر الربيع مثلاً، الإسلام يريد خدمة الناس فإذا لم يكن فيه خدمة للناس لا نلتزم به، وهذه الشبهة تتطور إلى المعتقدات ويقال إنها إذا أثبتت التجربة إن فيها فائدة نعتقد بها مثل الاعتقاد بالصراط والميزان والملائكة وإبليس وغيرها، وهكذا يُنظّرون لهذا الفكر بأمثلة عديدة لإخضاع الفكر والتشريع الإسلامي للتجربة البشرية وكلكم يستغرب من هذا الكلام وسأجيب على ذلك بشكل موجز.

جواب الشبهة

أولاً: ان الحقائق الوجودية غير خاضعة للتجربة البشرية، فالكون وما فيه والحياة بعد الموت وهذا العالم الكوني الفسيح وعالم السموات ليس خاضعاً للمنفعة البشرية فهي بالأصل حقائق وجودية، مثلما يحدث في الأرض من الأوبئة والزلازل والأمراض والفصول والماء والجدب هذه حقائق كونية، وما بعد ذلك من الصراط والجنة والنار هي حقائق كونية كما هو في كل شؤون الناس في الدنيا كأن

يقول قائل ان الأمراض لا تعجبني إذن لا توجد أمراض؟! هكذا كلام لا يغير الواقع لأن الأمراض هي حقيقة على أرض الواقع.

ثانياً: ان خضوع الأحكام الشرعية للمصالح والمفاسد هو أمر صحيح، لكن هل من الضروري ان نعرف تلك المصالح؟ أو هل نحن طلاب في جامعة دراسية والله تعالى تلميذ معنا ونحن شركاء في التشريع؟ فكم عرف الإنسان من قوانين الدنيا فهو ما يزال في ألفباء قوانينها؟ وهل المنفعة التي يريدها الله تعالى للعباد هي فقط المنفعة الدنيوية؟ والله تعالى يقول ان هذه التشريعات بعضها للدنيا وبعضها للآخرة مثلاً(الصوم جنّةٌ من النار)، وهل من الضروري ان تكون هذه المنفعة لي شخصياً؟ ربما هي منفعة لعموم البشرية ولأجيال آتية فهل من الضروري ان أكون أنا صاحب المصلحة وأنا المقياس لكل مصالح البشرية؟ وهكذا مجموعة أسئلة لا تستطيع الحداثة ان تقدم جواباً عنها.

وأستطيع ان أقدم مثالاً: هل المريض بالضرورة يعرف فلسفة علاج الطبيب، أو الطالب الجامعي هل من الضروري ان يعرف فلسفة المناهج الدراسية؟ طبعاً لا، فهل الله تعالى أقل من الطبيب أو من الأستاذ الجامعي، أيها البشر معلوماتكم ناقصة والله تعالى يعطيكم

معلومات ومعتقدات ممكن أنتم لا تعرفوها وليس بالضرورة أن تعلموها، لكن يومئذٍ يتبين لكم الحق، الآن مثلاً الأزمة الاقتصادية الضاربة في العالم، بدأت أمريكا وأوربا يتحدون عن حرمة الربا في الإسلام وعن تقنين إسلامي اقتصادي ويفترضون ان الرأسمالية قد فشلت بعد ان طبلت كل الدنيا إلى الرأسمالية، (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ).

اللمحة الخامسة والعشرون

المقدّس في الفكر الحداثي

نتناول في هذه اللمحة من نقد الفكر الحداثي فكرة المقدس، حيث يقول الفكر الحداثي أنه لا يوجد مقَّدس (اللّه) و(القرآن) و(الأنبياء) و(الملائكة) و(الأئمة) و(الأولياء) كلهم غير مقدسين.

الفكر الديني يقول بل يوجد مقدس وتوجد مقدسات فالقرآن الكريم يتحدث عن موسى يقول(إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ)[45] وهو وادٍ من تراب والقرآن الكريم يعتبر البيت الحرام مقدساً (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ)[46] والقرآن الكريم مقدس(فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)[47] الأنبياء وأهل البيت(ع) مطهرون (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[48]

---

45 - الآية ١٢ سورة طه
46 - الآية ٩٦ آل عمران
47 - الآيات ٧٨-٧٩ سورة الواقعة
48 - الآية ٣٣ سورة الأحزاب

إذاً في فكرنا الديني هناك مقّدس ومقدسات لا تقبل التجاوز عليها، فماذا يقصد الحداثيون بالقول أنه لا يوجد مقّدس.

هناك معنيان:

المعنى الأول:-

أنه لا يوجد شيء فوق النقد والبحث حتى الإيمان بالله تعالى، وهذا المعنى صحيح ومقبول في الإسلام إبراهيم(ع) هكذا حيث(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي)[٤٩] وهذا بحث ونقد علمي أي حتى الإيمان بالله هو ليس فوق البحث والاستدلال فلابد من بحث واستدلال، كذلك البحث في القرآن الكريم من حيث صحتهُ متناً سنداً وعصمة القرآن وأهل البيت(ع) وكل شيء يمكن البحث فيه حتى الذات الإلهية المقدسة وهذا معنى صحيح.

المعنى الثاني:-

أنه لا يوجد متعال ومطلق وما يستحق التكريم المطلق بل الإنسان هو فوق كل شيء وأعلى من كل شيء.

---

49 - الآية ٧٨ سورة الإنعام

وهذا المعنى الثاني هو معنى مرفوض إسلامياً لأن الإسلام يقول هناك ماهو مطلق ومتعال وما فوق الإنسان وما يستحق ان الكون والإنسان يسجد لذاك المقدس، اللّه والأنبياء والأئمة والملائكة مقدسّون والقرآن الكريم مقدّس، والقدسية بمعنى التعالي على الإنسان ويجب على الإنسان ان يخضع لها والقدسية بهذا المعنى يعتقد بها الدين، الإنسان ليس هو (ربكم الأعلى) وليس فوق كل شيء فلماذا يتعالى هذا الإنسان؟ ونفي القدسية بالمعنى الثاني الذي يشير إليه القرآن الكريم هو أصل الكفر، وهو التكبر الذي كان مشكلة إبليس حين كان يقول لا مقدّس أسجد وأخضع له، حتى ان اللّه تعالى لما أمره لم يخضع له.

والحداثة اليوم وبطرق فنية يتطاولون ويقولون أنه لا يوجد شيء فوق الإنسان واللّه من مصنوعاتنا، والملائكة من منتجاتنا الفكرية والآخرة من إبداعات فكر الإنسان وهكذا كل شيء هو أصغر من الإنسان وهذا هو الكبر الذي وقع به إبليس وأنتهى به إلى عدم السجود لآدم وعدم الخضوع للّه تبارك وتعالى.

الفهرس القسم الأول:-

الفهرس القسم الثاني:-